ASJP
Algerian Scientific Journal Platform

مجلة افاق للعلوم
Issn: 2507-7228 – Eissn: 2602-5345
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/351

المجلد: 07 العدد: 02(2022) ص 239-249

أثر زيجمونت باومان على أفكار عبد الوهاب المسيري

Zygmunt Bauman influenced the ideas of Abdel-Wahab El-Messiri

حجاج خليل*
جامعة تيارت (الجزائر)
hadjadj.khalil@gmail.com

جدراوي عفاف
جامعة الحاج لخضر باتنة (الجزائر)
afaf.djedraoui@yahoo.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
27 افريل 2021
تاريخ القبول:
09 ديسمبر 2021

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الحداثة الغربية
- ✓ الحداثة الصلابة
- ✓ الحداثة السائلة

الملخص:

يروم هذا المقال إلى تسليط الضوء على أحد أهم مفكري العالم العربي "عبد الوهاب المسيري" وبيان مدى تأثره بأفكار البولندي "زيجمونت باومان" خاصة في طريقة تحليله لمنظومة الحداثة الغربية وتوضيح انتقالاتها من مرحلة الصلابة إلى مرحلة السيولة. ومنه نستنتج أن هنالك تأثر واضح في متون نصوص عبد الوهاب المسيري ويظهر ذلك في أثناء إعادة قراءته لمشروع الحداثة الغربية وتأكيده على أنها حداثة مادية منفصلة عن القيمة الإنسانية تعاني من خواء قيمي، بدأت بمرحلة العقلانية الصلبة وتنصيب الإنسان مركزا للكون، ووصلت إلى سيولة وعلمانية شاملة جرفت كل القيم وألغت كل الحدود والثوابت من دون أية نقطة ارتكازية، وهنا يختفي الإنسان الرباني كما يرى المسيري، ويظهر الإنسان الطبيعي المادي الذي يلهث وراء السلعة والاستهلاك وإشباع اللذة الفورية.

Article info

Received
27 April 2021
Accepted
09 December 2021

Keywords:
- ✓ *Western modernity*:
- ✓ *solid modernity*:
- ✓ *Liquid Modernity*:

Abstract :

This article aims to shed light on one of the most important thinkers in the Arab world, "Abdel-Wahab El-Messiri," and to show the extent to which he was influenced by the ideas of the Polish "Zygmunt Bauman", especially in his analysis of the Western modern system and clarifying its transitions from the stage of solidity to the stage of liquidity. From this, we conclude that there is a clear influence on the body of Abd al-Wahhab al-Messiri's texts, and this appears during his re-reading of the Western modernity project and his assertion that it is a material modernity separate from human value that suffers from a value emptiness. All values and canceled all boundaries and constants without any fulcrum.

* المؤلف المرسل

AFAK for Sciences Journal مجلة آفاق للعلوم EISSN: 2602-5345 ISSN: 2507-7228

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

مقدمة:

إن الهاجس الذي سيطر على الإنسان منذ قرون مضت هو بلوغ السعادة، فهي تمثل الخير الأعظم كما يراها "أبيقور" لذلك تعد الغاية القصوى التي تنشدها الذات البشرية، ولا يتأتى حصولها إلا بالإيمان العميق بفكرة التقدم وسير الإنسان المتواصل إلى الأمام آملا أن يكون الحاضر أفضل من الماضي والمستقبل أفضل من الحاضر، وبهذا فقد كان الهم البشري لإنسان الحداثة هو تحرير الذات من الخرافة والأسطورة، وفكه من أغلال التفكير القروسطي ليكون الانتقال بذلك من الميتوس(الأسطورة) إلى اللغوس(العقل)، وكان هذا الأخير شعار عصر الأنوار الذي يدل على نهاية مشهد العبودية، وإعلان عن ميلاد مفاهيم جديدة تعلي من قيمة الإنسان وتنصبه سيدا للطبيعة وممتلكها على حد تعبير الفرنسي "روني ديكارت"، هذا هو حقيقة المشروع الحداثي الذي بنى سرحه الفلسفي على ترسانة من المقولات كالتقدم والعقلانية والسعادة ...غيرها من المقولات التي رسمها إنسان الحداثة ووعد بتحقيق الجنة الموعودة في الأرض وبلوغ الفردوس الأرضي بتعبير عبد الوهاب المسيري.

ولكن ما بُشر به المشروع الاستناري عكس ذلك تماما فقد انحرفت المقولات عن مسارها ولم تحقق فعلا وبالشكل الإيجابي ما كان ينشده فلاسفة الأنوار ويتوعدون به، فانقلبت الموازين رأسًا على عقبٍ وتحولت الآمال إلى واقع مرير وصدم الإنسان بخيبة أمل لم تكن في حسبانه.

هذا ما دفع بأغلب المفكرين الغرب والعرب ونخص بالذكر هنا البولندي "زيجمونت باومان"Zygmunt Bauman والمفكر المصيري "عبد الوهاب المسيري"، إلى إعادة قراءة مشروع الحداثة الغربية من أجل فهمها وإماطة اللثام لبيان العجز الذي ينخر أسسها المعرفية، ومقولاتها الكبرى، ويأكل جدرانها القيمية، ويزج بالإنسان إلى السيولة الشاملة، أين تصبح كل الأمور متساوية فلا مرجعية يقف عليها الإنسان ويطمئن إليها وتعيد له ثقته ويقينه بنفسه والعالم من حوله.

ومنه تدور اشكالية المقال: لماذا انتهى مشروع الحداثة الغربية إلى واقع مرير؟ كيف كانت قراءة المسيري لهذا المشروع؟ أين تتمظهر الرؤية الباومانية في متون النصوص المسيرية؟ ما المخارج التي يرها المسيري كحل للخروج من موجة السيولة؟

وللإجابة على هذا الإشكال اتكأنا على أداة منهجية تتمثل في المنهج التحليلي بغية تحليل الأفكار وفهمها هذا من جهة، ومن جهة الكشف عن عمق أثر أفكار زيجمونت باومان في متون نصوص عبد الوهاب المسيري وهذا هو المرمى النهائي لهذا البحث.

يُعدُّ المفكر المصري عبد الوهاب المسيري من أبرز المفكرين العرب الذين خاضوا في مشروع الحضارة الغربية بالدراسة والتحليل محاولاً بذلك بيان أعطابها ومعالم الشروخ فيها، مستندا في ذلك على آلية النقد والتفكيك والتركيب من الداخل مواصلاً بذلك عمل مدرسة فرانكفورت ومتأثرًا بأفكار البولندي "زيجمونت باومان"، وخاصة بفكرتي ثنائية "الصلابة" و"السيولة"، وهذا ما أكده وصرح به "حجاج أبو جبر" في أثناء عمليته بترجمة سلسلة السيولة لكتب زيجمونت باومان يقول: "كنت أظن أنني الصياد الأول الذي التقط الزجاجة وقرأ الرسالة ...لكن ظني لم يكن في محله فواقع الأمر أن رسالة باومان عبرت البحار في زجاجة مغلقة، ووصلت إلى شواطئ العالم العربي في اشارات عابرة منذ التسعينات من القرن العشرين، وربما يكون عبد الوهاب المسيري هو أول بحار التقط الزجاجة المغلقة، وأخرج الرسالة، وقرأها واستوعبها وصاغ منها النماذج التفسيرية الأساسية في نقد الحداثة الغربية وتحولاتها في مرحلتي الصلابة والسيولة (باومان، 2016، صفحة 9)

وهذا يعني أن هنالك أثر قوي لأفكار البولندي "زيجمونت باومان" على فكر "عبد الوهاب المسيري"؛ فالواضح في مشروعه وجود أجزاء كبيرة من البنية المفاهيمية التي طرحها البولندي "باومان" وهذا ما أكد عليه مترجم سلسلة السيولة "حجاج أبو جبر" ووضحه في كتابه الموسوم "نقد العقل العلماني دراسة مقارنة بين زيغمونت باومان عبد الوهاب المسيري؛ أين لاحظ أن هناك اتفاق كبير بينهما خاصة في كيفية صياغة النماذج التفسيرية الرئيسية وتوظيفها في نقد العقل والحداثة الغربية. وتبرز نقطة التقاء الخطاب النقدي بينهما في اعتمادهما على أنموذجين أساسين: وهما ثنائية الصلابة والسيولة ويصرح في هذا الصدد حجاج أبو جبر أثناء قراءته لأعمال زيجمونت وكأنها أعمال عبد الوهاب

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

المسيري يقول: "وجدتني أقرأ أعمال باومان وكأنني أقرأ الرحلة الفكرية لعبد الوهاب المسيري، لم أكن أدرك ساعتها أن المسيري أشار إشارات عابرة في ثنايا أعماله إلى أثر "باومان" في فكره." (أبوجبر، 2017، صفحة 7)

وسنحاول هنا تتبع هذا الأثر وبيانه من خلال تصفح الرؤية النقدية التي قدمها المسيري أثناء إعادة قراءته لمشروع الحداثة الغربية والمشروع الاستناري، وتوضيح انتقالاته من العقلانية الصلبة إلى اللاعقلانية السائلة.

2. العقلانية الصلبة:

ن منطلق كون المسيري شاهد عيان عاش في وسط الحضارة الغربية، وما آلت إليه فهو يرى أن النموذج السائد والطاغي والمهيمن في الغرب هو الفلسفة المادية ولهذا نجده يقول: "نحن نستخدم كلمة مادي هنا بالمعني الفلسفي، أي الايمان بأن المادة هي الأصل و المحرك الأساسي للكون" (المسيري وآخرون، 2003، صفحة 16) فالنموذج المادي هو الذي يتولى تحديد الخارطة الادراكية للإنسان، من منطلق كون العقلانية المادية قادرة على تفسير الواقع دون سند إلهي وذلك بالاعتماد على العقل وحده، وهذا ما أكد عليه نظريا المشروع الأنواري وجسد في حركة الاستنارة التي "تذهب إلى أن عقل الانسان قادر على الوصول إلى قدر من المعرفة ينير له كل شيء أو على الأقل معظم الأشياء والظواهر ويعمق في فهمه للواقع ذاته" (المصدر نفسه، صفحة 17).

فالقدرة العالية لهذا العقل تمخضت منه تنصيب الذات الإنسانية مركزا للكون، وانتزاع السادة من الله إلى الإنسان، وهكذا حول اهتمام الإنسان من البحث في السعادة الآخروية إلى البحث عن السعادة الأرضية بغية تحقيق الفردوس الأرضي، فالسيادة على العالم تحققت في ظل عملية العقلنة الشاملة التي مست مختلف المجالات والحقول الإنسانية، وهذا الاكتساح الشامل للعقل يقتضي القطع مع الإرث اللاهوتي وتقويض كل التصورات المتجاوزة للأفق الإنساني، وهذا ما أكده زيجمونت باومان الذي يرى بأن عملية العقلنة التي خضع لها العصر الحديث أدت إلى تسليط الضوء على الإنسان، واعتباره صمام أمان لهذا يقول أن "الناس حلوا محل الله باعتبارهم سادة اقدارهم" (باومان، صفحة 81).

وبهذا صار الإله مهمش ولا قيمة له فوجوده من عدمه، وبالتالي أضفت هذه الرؤية المركزية للإنسان في الكون إلى الإقرار بأن الإنسان صار كما يقول المسيري: "إلها أو بديلا للإله لا حاجة به إليه يولد من ذاته معياراته (ويصبح ما يريده –على حد قول بيكو ديلا ميراندبلا المفكر الهيوماني الإيطالي). وهذا جوهر النزعة الانسانية (الهيومانية)" (المسيري وآخرون، 2003، صفحة 17) فإقصاء الإله وتغييبه جعل من الإنسان المعيار والمقياس الأوحد لكل شيء فهو الفاعل ولا شيء غيره.

فعبقرية "بيكو ديلا ميراندبلا Picodella Mirandola"التي سادت في عصر النهضة الأوربية، كما يرى زيجمونت باومان* إنما توحي بمركزية الإنسان داخل الخطاب الأوربي، وإمكانية قدرته في صنع مصيره في التاريخ، وهذا نظرًا لامتلاكه الحرية الكاملة، مما ساعد بنسبة كبيرة كما يقول "باومان" في: "خلق الذات وتوكيد الذات، ويعني ذلك أن البشر أحرار في اختيار طريقتهم المفضلة في الوجود في العالم" (باومان وبوردوني، 2018، صفحة 72) وبهذا يصبح الإنسان هو مرجعية ذاته فلاوجود لشيء يتجاوزه ويتعالى عليه، وهذا هو لب النزعة الإنسانية التي تجعل الإنسان حجر الزاوية في صنع كل القيم بما في ذلك القيم الأخلاقية وفي تحديد مساره الخاص داخل الوجود فهو يستطع أن يكون كما يقول "لوك فيري": "طيبا أو قبيحا، وأن يختار الخير والشر ...وهكذا فإن رؤية أخلاقية جديدة للعالم، إيتقا خاصة بحرية الاختيار ترسم أفق هذا التعريف الجديد للإنسان" (فيري وكبلياي، 2015، صفحة 159).

ويُشير المسيري إلى أن المتمعن في المنظومة الفكرية للحضارة الغربية يكتشف وبسلاسة تامة أن هنالك مرجعيتين مختلفتين بل متعارضتين فيها؛ فالقسم الأول يتمثل في "منح الأولوية للعقل على الطبيعة المادة (المتمركزة حول الانسان)، وقسم يمنح الطبيعة الأولوية على الإنسان (المتمركز حول الطبيعة)" (المسيري، 1998، صفحة 28) ويعني ذلك أن الأنموذج الأول يعلي من شأن الذات البشرية ومقدرة العقل الإنساني في إدراك الواقع

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

وعقلنته ومن ثمة استخلاص القوانين وصياغتها، وبهذا تكون الذات العاقلة سيدة على كل شيء، فهذه المقولة الصلبة والأساسية التي يفترش عليها الخطاب الحداثي ويبني عليها سرحه الفلسفي، أما الأنموذج الثاني فينطلق من اعتبار أن "عقل الانسان عقل سلبي وأن الأولوية للطبيعة وأن مهمة العقل الانساني تتحدد في تلقي قوانين الطبيعة واتباعها والإذعان لها وكفى" (المصدر نفسه، صفحة 28).

إذن؛ فهذا الأنموذج(الثاني) ينزع ويجرد الإنسان من سيادته ويجعل مهمته الأساسية هي الخضوع للطبيعة وقوانينها لا غير، وبالتالي فهذان النموذجان سيسيطران على التوالي على فكر المنظومة الغربية وهذا ما سيلاحظه المسيري ويسعى جاهدا لتوضيحه.

وبناءً على هذا يرى المسيري أن مشروع الحضارة الغربية قد بدأ بدايته الأولى مع "الفلسفة الإنسانية الهيومانية التي تتمركز حول الإنسان وتضعه بشكل كامل فوق الطبيعة، فهذا الإنسان هو مركز الكون، بل سيده دون منازع له، وهو مرجعية هذا الكون النهائية، ولهذا فهو يواجه الكون دون وسائط حرا تماما من قيود الحضارة والتاريخ والأخلاق صاحب إرادة كاملة رافضا أية غيبيات أو ثوابت أو مطلقات تتجاوز عالمه المادي وحدود عقله" (المسيري، 2002، صفحة 265) .

ويعني ذلك بالجملة أن الإنسان يمثل الكل الثابت فهو مركز الكون دون منازع يتجاوز الكل ولا يتجاوزه أي شيء، ومنه تصبح الذات مصدر ملهم لكل النظم المعرفية والجمالية والأخلاقية وبهذا يكون أول "ميسم يطبع الحداثة الغربية أو الوعي الحداثي الغربي هو نزع الطابع السحري عن العالم ورده إلى خارجية مطلقة وإرجاعه إلى علاقات معلومة" (الشكير، صفحة 14) وبهذا فقد أفرغ العالم من أية قداسة أو أي تصور ميثولوجي ديني، وصار ينظر إلى العالم مجرد علاقات رياضية يجنح فيه الإنسان إلى السيطرة والهيمنة بالاعتماد على العقلانية الحسابية التي تخضع كل شيء للمماحكة والتشطيب العقلي فلا تقبل إلا ما كان واقعا وبهذا انتقل العقل من مرحلة التأمل إلى مرحلة العلم التقني الرياضي "وهو المشروع الذي كانت نواته الأولى هي فكرة غاليلو عندما أكد سنة 1623 بأن الطبيعة تتحدث لغة الرياضيات أي لغة المثلثات والمربعات والعلاقات الرياضية" (سبيلا، 2007، صفحة 34).

وهذه الرؤية التي نادى بها فلاسفة عصر النهضة أولا لتستمر وتظهر بشكل بارز في العصر الحداثي فتكون بذلك العقلانية الأداتية أو التقنية من أهم مميزات المشروع الأنواري التي آل اليها، فالعقل الأداتي في نظر عبد الوهاب المسيري: "هو العقل الذي يلتزم، على المستوى الشكلي بالإجراءات دون هدف أو غاية أي إنه العقل الذي يوظف الوسائل في خدمة الغايات دون تساؤل عن مضمون هذه الغايات، وهل هي إنسانية أو معادية للإنسان؟، وهو على مستوى الفعلي، العقل الذي يحدد غاياته وأولوياته وحركته انطلاقا من نموذج عملي مادي بهدف السيطرة على الطبيعة والإنسان وحوسلتهما" (المسيري، 2002، صفحة 78).

وفي تقدير التحليل فإن التقنية تحول الإنسان والطبيعة إلى مجرد مادة استعمالية لا قداسة فيهما، واختزالهما في البعد المادي فقط، وهذا ما ينتج رؤية مادية بامتياز يقول المسيري: "بأن انجازات الحضارة الغربية الحديثة التكنولوجيا والعلم والسيطرة على العالم انتاج رؤيتها المادية التي تطلبت استبعاد كثير من العناصر الأخلاقية والإنسانية، العناصر غير المادية وذلك بهدف التحكم فيه إذا لم يكن التحكم فيهما إلا هو بسيط" (شريف، 2014، صفحة 90).

وهكذا تم تعويم المسؤولية وتحييد الفعل الإنساني وبإخراجه من الدائرة القيمية فلم يعد يميز بين الخير والشر والصالح والطالح والصحيح من الفاسد، وهذا ما أفرز لنا حداثة منفصلة عن القيمة على حد تعبير عبد الوهاب المسيري، ومن ثم يضع تعريفه الخاص للحداثة بأنها "ما هي إلا مجرد استخدام العقل والعلم والتكنولوجيا بل هي استخدام العقل والعلم والتكنولوجيا المنفصلة عن القيمة free-value، وهذا البعد هو جوهر مهم لمنظومة الحداثة الغربية ففي عالم متجرد من القيمة تصبح كل الأمور متساوية، ومن ثم تصبح كل الأمور نسبية" (المسيري، 2006، صفحة 34)

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

إن غياب القيمة والتنصل منها يجعل الإنسان يتعذر عليه الحكم على الأشياء فيصير المعيار الأوحد للفعل الإنساني هو الآلية وفاعليته على مستوى الواقع، ولهذا يرى باومان أن الآلية التي طغت على المجتمع الحديث جعلت مفاهيم مثل (قدسية الحياة الانسانية وحرمتها، والواجب الأخلاقي) يثير الغرابة في الخطاب السسيولوجي والمكاتب البيروقراطية وتسعى جادة للتخلص منها (باومان، 2014، صفحة 36) .

وهذا ما جعل "باومان" ينتقد وبشدة عقلانية الحداثة الغربية كونها انحرفت عن مسارها الأصيل ومالت عن عقلانيتها الأولى الصلبة كما رسما المشروع الأنواري، وبالتالي فقد زاغت عن مقولاتها الكبرى(التقدم والتسامح والسعادة ...) وانتهت فكرة التقدم كما يقول باومان: "إلى واقع مرير وجبرية متطرفة، بعدما كانت أبرز تجليات التفاؤل الجذري والأمل بتحقيق السعادة الدائمة للجميع فصارت ترمز إلى تهديد دائم وحتمي" (باومان، 2016، صفحة 99).

ويُبرهن "باومان" على أن أكبر دليل على فشل المشروع الحداثة الغربية هي المجازة التي ارتكبتها في حق اليهوديين فهذه المذبحة التي ارتكبها العقل الغربي في حق الإنسانية إنما هي نتيجة حتمية لسيادة العقلانية الأداتية فعداؤه هذا يعود في الأصل إلى تجربته المريرة كيهودي عانى الظلم والحرمان والنفي، إلى جانب ما عانته زوجته "جنينا باومان" من عمليات القهر لأفراد أسرتها، وهذا ما سجلته في مذكراتها، ففي عام 1986م بينما كان باومان يكتب كتابه "المشرعون والمترجمون" نشرت زوجته جنينا باومان Janina Bauman كتاب تحت عنوان الشتاء في الصباح Winter in the morning تصف فيها قصتها المبكرة في بولندا وتبين فيه ما تعرضت له مع ثلة من اليهوديين في وارسوا(الغيتو)خلال السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية أولئك الذين تعرضوا للجوع مع تهديد متواصل للرحيل إلى معسكرات الإبادة النازية ..فنجت جنينا مع أمها وأختها وعاشت هاربة مختبئة حتى انتهاء الحرب بينما والدها لم ينج من الحرب، فقد قتل على يد الروس،حدث ذلك في كاتين katyn مذبحة عام 1940عندما كان حوالي 14.500أسير حرب معظمهم من بولندا تم اعدامهم. (smithe, 1999, p. 120)

فالظلم الاجتماعي وانتشار معدلات الجريمة في حق الإنسانية كان متناقض بصفة مطلقة مع شعارات المنظومة الحداثية التي تأسست للدفاع عن قيم متعددة كالديمقراطية وحقوق الإنسان والتسامح الديني والدولة القانونية ...إلخ فما حدث على أرض الواقع يعكس الطابع التسلطي والاستغلالي والقهري ويكشف عن قناع الزيف الذي ارتدته الحضارة الغربية ويفضح قصة رسالتها الحضارية.

ويعضّد المسيري فكرة باومان ويرى بأن هنالك عناصر تسم التشكيل الحضاري الغربي الحديث جعلت من الابادة احتمالا كامنا فيه وليست مجرد مسألة عرضية يتم تناقلها بين الأفواه من حين الآخر يقول: "والعنصر الحاسم –في تصورنا- في ظهور النزعة الإبادية هو الرؤية الغربية للكون، وهي رؤية يمكن وصفها بإيجاز شديد بأنها رؤية مادية واحدية (حلولية كمونية) تعود جذورها إلى عصر النهضة في الغرب، وقد اتسع نطاقها وازدادت هيمنتها إلى أن أصبحت هي النموذج التفسيري الحاكم مع منتصف القرن التاسع عشر عصر الإمبريالية والعنصرية." (المسيري، 2002، صفحة 197)

فالعقلانية الأداتية كما يوضح باومان في كتابه "الحداثة والهولوكوست" عملت على حيادة الفعل الانساني فالمحرقة اليهودية أو الهولوكوست عامة تعد علامة بارزة على الجريمة التاريخية التي تعد بمثابة طفرة في مسار الحضارة الغربية وهي نتيجة حتمية لسيادة العقل الوظيفي ولهذا يرى باومان أن "الهولوكست هي وليدة العقل الوظيفي والنظّم البيروقراطية الحديثة فلولاها لما ولدت الفكرة، العقل الوظيفي الذي يرى اختيار بعض الوسائل للوصول إلى هدف معين مبررا ما أنتجه من نظم بيروقراطية في رأي باومان هما اللذان جعل فكرة الهولوكوست مقبولة للعقل الإنساني، في جانب آخر يعتقد أن الهولوكوست أكثر من أنها وليدة للعنصرية الإثنية، الخوف من الآخر الأجنبي هي ظاهرة متولدة من الهوس والتنظيم في تلك الفترة " (باومان، 2017، صفحة 4)

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

فتغول الدولة في العصر الحديث وانتهاجها للنظام الرأسمالي وهاجسها المستمر للسيطرة جعل منها تكون كالمزارع الذي يقضي على الحشائش الضارة فكل من يعترض طريقها يكون محله الإبادة، فهذه الرؤية الباومانية يتفق معها المسيري إلى حد بعيد، ويعتبر المسيري أن "الهولوكوست هي أول مذبحة غربية تقوم بها الإمبريالية داخل أوروبا و ضد أوروبيين" (باومان، 2014، صفحة 19)

بناءً على هذا نلاحظ أن "باومان" و"المسيري" يدنان شناعة الأفعال الحداثية المتجردة من أية مسؤولية أخلاقية وبهذا تكون الحداثة الغربية من منظورهما قد بدأت مشروعا ثقافيا في عصر الاستنارة؛ ذلك المشروع الذي يهدف إلى إلغاء الإله أو تهميشه والتمركز حول الإنسان باعتباره سيدا للكون قادرا على تأسيس جنة الخلد في الأرض دون الاستعانة بأية قوة غيبية، واضحة فالعقل والعلم والتكنولوجيا أهم الآليات الحاكمة في احداث عمليات التطور الصناعي في ظل النظام الرأسمالي." (أبوجبر وآخرون، 2007، صفحة 271)

وبالتالي فالعقلانية الأداتية التي انتهى إليها الإنسان الحداثي سواء في مجال المعرفة أو في مجال الإدارة والتسيير المتجسدة في النظّم البيروقراطية، قد نتج عنها الرغبة الجامحة للسيطرة والهيمنة، وبهذا المعنى فإن السيطرة قامت حسب رواد مدرسة فرانكفورت وبالخاصة حسب هوركهيمر وأدرنو على بعدين متلازمين "البعد الأول ويتمثل في سيطرة الإنسان على الطبيعة، أما البعد الثاني فيتمثل في سيطرة الإنسان على الإنسان وهذا ما توصل إليه هوركهيمر عندما يقول: "لقد نتج عن سيطرة الإنسان على الطبيعة سيطرة الانسان على الإنسان" (بومنير، 2010، صفحة 22)

وعلى هذا الأساس يرى المسيري بأن الحداثة الغربية قد انتجت لنا فلسفات معادية للإنسان وللعقل وتنكر الكليات المتجاوزة، فرغم تحرير العقل من الميتوس وأوهام الخرفات إلا أنه تحول نفسه إلى قوة عقلانية تحاول السيطرة على الطبيعة والإنسان معا، وبالتالي فقد تحولت مقولة التقدم إلى عكسه، ولذا فهي في طريقها إلى شكل من أشكال البربرية تتقدم بخطى حثيثة نحو الجحيم. (المسيري، 2002، صفحة 92) وعلى ذلك فقد صار التقدم دالا بلا مدلول.

إذن؛ من خلال ما أشرنا اليه آنفا نجد المسيري يصل إلى أن الرؤية العقلانية المادية التي تستبعد كل العناصر غير المادية تجعل الانسان لا يتجاوز سقفه المادي قد أضفت إلى عقلانية أداتية حوسلت عقل الإنسان وجعلته مجرد أداة لتحقيق مرامي معينة بغض النظر عن البحث خلف تلك الغايات وبهذا يكون "العقل الأداتي ينظر إلى الطبيعة والإنسان باعتبارهما مجرد مادة استعمالية" (المصدر نفسه، صفحة 90)

ويعني ذلك غياب المعنى وتقويضه لصالح اللامعنى وهذا ما أفرز لنا لا عقلانية مادية تستبعد الانسان وتساهم في ظهور فكرة "موت الانسان" في الفكر ما بعد الحداثي، وهذا ما أشار إليه عبد الرزاق الدواي في كتابه" موت الانسان في الخطاب المعاصر" إذ يُشير إلى أن هنالك جملة من الفلاسفة والمفكرين شكلوا تيارا فلسفيا عرف في الفلسفة المعاصر بتيار موت الانسان وهو خطاب ينذر بفشل مشروع الحداثة الغربية برمته و تصدع جميع الأسس والقيم التي بنى عليها الإنسان كوعي وإرادة العقل والعقلانية المتطورة والتاريخ والتقدم والامكانيات الواقعية للتحرر (الدواي، صفحة 6).

وينتج من جراء ذلك ظهور نوع آخر من العقلانية ألا هو اللاعقلانية المادية وبهذا يكون الانتقال من التحديث والحداثة إلى ما بعد الحداثة كما يقول المسيري: "هو انتقال من العقلانية التي ترتبط بالتجريب والعقلانية (مرحلة المادية القديمة ومرحلة الثنائية الصلبة)، إلى اللاعقلانية المادية الجديدة التي تفصل بينهما قيم التجريب دون ضابط ودون إطار (مرحلة المادية الجديدة والسيولة الشاملة)" (المسيري، 2002، صفحة 90).

فالسيولة الشاملة التي انتهى إليها المشروع الاستناري قد جرفت في مسارها كل القيم والأسس فلم يعد للإنسان ما بعد الحداثة مرجعية يقف عليها. فهو عصر اللاعقلانية السائلة.

3. اللاعقلانية السائلة:

يُشير زيجمونت باومان في قراءاته لمشروع الحداثة الغربية كما يوضح ذلك في كتاباته سلسلة "السيولة" إلى أن صلابة العقلانية

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

الحداثية تحتوي في داخلها سيولة ولهذا نجده يقول: "لم أنظر من قبل، ولا الآن، إلى أن الصلابة والسيولة باعتبارهما تحكمهما رابطة جدلية ...إن البحث عن صلابة الأشياء والحالات هو ما دفع إلى إذابتها، ووجه مسارها، فلم تكن السيولة خصما معاديا، بل أثر من أثار البحث عن الصلابة ، ولم يكن لها أب سواه، حتى عندما أو إذا أنكر الأب أنها ابنته الشرعية" (باومان، 2016، صفحة 27).

وفي تقدير التحليل فإن المنظومة الحداثية الغربية تحتوي داخلها بذور فنائها، ونفس الأمر لاحظه عبد الوهاب المسيري كذلك ورأى بأن المادية الجدية كامنة في المادية القديمة، بل تتعايش معها و ترتبط بها، ولهذا يشير في كتابه المشترك مع فتحي التركي المعنون "الحداثة وما بعد الحداثة" إلى أن: "الاستنارة المضيئة تؤدي إلى الاستنارة المظلمة (تماما مثلما تؤدي المادية القديمة الصلبة إلى المادية الجديدة، والعقلانية المادية إلى اللاعقلانية المادية السائلة)" (المسيري وآخرون، 2003، صفحة 23).

فالمادية الجديدة أو المادية في مرحلة السيولة التي ألمح إليها المسيري ما هي إلا ثورة ضد كل تلك الفلسفات التي تؤمن بفكر الكليات المتجاوزة، والمطلق، وفكر المركز والأساس والحدود ، وليس هذا فحسب بل يرى المسيري "بأنها ثورة ضد الميتافيزيقا المادية بكل ايمانها بالثبات والتجاوز والإنسانية ومقدرة العقل على إدراك الواقع وتجريد قوانينه منه، فهي بمعنى أنها ثورة على العقلانية المادية ذاتها" (المسيري، 2002، صفحة 33)

ويعنى ذلك بالجملة التخلي عن فكرة الثابت وعن كل الأفكار التي دعت إليها الفلسفة الهيومانية في عصر الاستنارة المضيئة، وبالتالي الارتماء في أحضان الصيرورة اللانهائية، الدائمة الحركة والتغير وهذا استدعاء للموروث اليوناني من منطلق كونه يتوافق مع التفسير السيولة الطاغية في المجتمعات الغربية الهرقليدسي Heraclitus الذي يرى بأن كل شيء في صيرورة ،"فالتغير يطال كل شيء، فأنت كما يقول(لا تستطيع أن تقفز مرتين في النهر)" (تايلور وآخرون، 2018، صفحة 33) وعلى هذا الأساس تصر الصيرورة هي الثابت الوحيد في عصر السيولة.

وأمام هذه المتتالية النماذجية التي آل اليها المشروع الحداثي الغربي من الصلابة إلى السيولة، جعل المسيري يرى بأنه لا مجال للحديث عن مركزية الإنسان في الكون أو عن المرجعية الإنسانية، أو مقدرة الإنسان في تجاوز الطبيعة ...فمثل هذا الادعاء وهم من أوهام الفكر الهيوماني الغربي ليس له ما يسنده في الواقع" (المسيري وآخرون، 2003، صفحة 23) وعلى هذا تكون الاستنارة المظلمة تروم في أساسها الأول إلى تحطيم وتفكيك كل المقولات بما في ذلك مقولة الإنسان ذاتها، وهذا ما قام به العقل الآداتي عبر محاولاته المتكررة والدائمة في حوسلة الإنسان، وخلع عنه رداء الإنسانية وتقويض معناه، ومنه أُختزال الإنسان في البعد المادي، وعليه فالعقل المادي عدمي كما يقول المسيري: "عقل تفكيكي عدمي غير قادر على التركيب أو التجاوز، ويتضح هذا من أنه عقل قادر على إفراز قصص (نظريات)، صغرى مرتبطة بفضائها الزماني والمكاني المباشر على أحسن تقدير(كما يقول دعاة ما بعد الحداثة)،...ومن ثم فهو عقل عاجز عن انتاج النظريات الكبرى أو النظريات الشاملة، وعاجز عن التوصل للحقيقة الكلية والمجردة التي خارج إطار التجريب" (المسيري، 2002، صفحة 34).

وبناءً على هذا فإن المنظومة الحداثية قد انتهت إلى العدمية فهذه الأخير علامتها النهائية فبعد تنصيب الإنسان وتهميش الإله أضحى مفهومي الكمال –الوثني والخلاص المسيحي– قد تواريا بعيدا وأضحيا غير مفهومين للإنسان، كما أن معاني الخير والحق والسعادة أضحت أمورا مجهولة لديه، وكل الأقوال المتعلقة بها التي تروي معانيها التي يسميها فراسوا لويطار الحكايات الكبرى (récits-Méta) في كتابه الوضع ما بعد الحداثي، قد تلاشت وتهافتت ومن ثمة فهو يعارض كل بحث عن القيمة أو المعنى أو عن المعقولية. (الشيخ، 2008، صفحة 555)

وعليه فغيات المعنى يجعل البشرية تدخل مرحلة اللامعنى أين يصير كل شيء دالا بلا مدلولِ، ويصر التقدم مجرد مرحلة انتقالية مفرغة من دلالتها العميقة، وهذا ما يجعل العالم يسر إلى الهاوية بتعبير "إدغار موران" فتفشل أسطورة السعادة، وتغيب الثنائيات، ومن ثم فلا يوجد بالنسبة لهذا العقل التفكيكي المادي خير وشر

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

أو عدل أو ظلم، مطلق أو نسبي، بهذا تكون ما بعد الحداثة في المنظور المسيري هي "رؤية تنكر المركز والمرجعية، وترفض أن تعطي للتاريخ أي معنى وللإنسان أية قيمة أو مركزية أو إطلاق، وتسقط كل الأيديولوجيات، وتنكر التاريخ عصر نهاية التاريخ وتنكر الإنسان عصر ما بعد الانسان، فالعالم حسب هذه الرؤية يفتقر إلى المركز، فكل الأمور مادية وكل الأمور متساوية وكل الأمور نسبية فهو في عالم في حالة سيولة كاملة." (المسيري، 2002، صفحة 175)

ومنه فلم يعد الحديث عن الثنائيات ("الخالق"، "المخلوق"، "الانسان"، "الطبيعة") بل الحديث عن الواحدية المادية، وهذا ما لاحظه المسيري في رصده لتحولات المنظومة الغربية وانتقال البناء الفكري المادي نحو تصفية الثنائيات، ومنه فقد انحرفت المنظومة الغربية الحداثية المادية من الإعلان عن موت الإله باسم المركزية الانسانية، وانتهت بإعلان موت الإنسان باسم الطبيعة والأشياء، والحقيقة المادية.

على هذا يكون الإنسان جزء لا يتجزأ من عالم الطبيعة، ومن ثمة تكون المنظومة الغربية قد تحيزت للجانب المادي وهذا ما ساهم في خلق اشكالية يسمها المسيري اشكالية التحيز، ومن أهم التحيزات تحيز الطبيعي/المادي على حساب الانساني وغير المادي فيكون بذلك تحيز ضد الطبيعة البشرية نفسها، لصالح الطبيعة المادية، وطبيعة الأشياء (المصدر نفسه، صفحة 31).

وهنا يتجرد الإنسان من خصوصيته الإنسية والغائية ويذوب وينصهر في الكل، وحينئذ يظهر الإنسان الطبيعي يقول المسيري: "هو إنسان ليس من الإنسان سوى الاسم إنسان جوهره طبيعي/مادي وليس انساني فهو يذعن للطبيعة ويتبع قوانينها، بعدما كان يشير إلى ذاته ويتبع قوانينها." ويعني ذلك أنه بعدما كانت بطاقة تعريف الإنسان الماهية العقلية، تصبح بطاقة هويته هي المادة المتحركة، وهذا ما يوقعنا في فيما يسمه المسيري بالواحدية السائلة أين يتحول العالم إلى كيان شامل واحد تتساوى تماما فيه الأطراف بالمركز، عالم لا يوجد فيه قمة ولا قاع، أو يمن أو يسار أو ذكر أو أنثى، وانما يأخذ شكلا مسطحا تقف فيه جميع الكائنات الإنسانية والطبيعية على كفة السطح وتصفى فيه كل الثنائيات، وتنفصل الدوال عن المدلولات فتتراقص بلا جذور ولا مرجعية ولا أسس (المصدر نفسه، صفحة 7)

ويعني ذلك الانتقال من مرحلة الصلابة إلى السيولة التي لا تركن لثابت ولا تخضع للحدود والقيود، وهذا ما أدركه زيجمونت باومان، وأشار إليه في كتابه الحداثة السائلة(Liquid Modernity) الذي بين فيه انتقالات الحداثة الغربية، وتقلبات الانسان داخلها فاستبدل الحداثة التي تعد مرحلة سيادة العقلانية على كل شيء، بتعبير الحداثة الصلبة، ومصطلح ما بعد الحداثة بلفظ الحداثة السائلة؛ وهي تفكيك المفاهيم الصلبة والتحرر من الكليات واغلال المقدس، وبذلك استطاع باومان أن يدرك "مأزق الحداثة التي نقلت إنسان التنوير –كما يسمه أغنيس هلير-من صلابة العقلانية في مراحلها الأولى إلى سيولة الرشد في واقعنا، وبالتالي سيولة مفهوم الإنسان ذاته" (باومان، 2016، صفحة 13).

ومنه فالسيولة الشاملة أجهضت معنى الإنسان، ومارست عليه منطق التغييب، فأضحى من الصعوبة بمكان الحدث عن معنى الإنسانية في غياب المعنى وتشظيه، فصارت السيولة ديدن الإنسان المعاصر الذي يعيش حركة دائمة متغيرة لا تثبت ولا تستقر على حال واحدة، فهي في ديمومة مستمرة، تعمل على تفكيك متواصل لمراكز الصلابة لصالح اللعب الحر، دون أية نقطة مرجعية.

إذن؛ يظهر من خلال التحليل اتفاق المسيري مع الطرح الباوماني، ويشر المسيري إلى أن هذه السيولة الجارفة لكل ثابت يعتقد أصحابها وهم الماديون الجدد أن أية محاولة للوصول إلى نقطة ثابتة، ما هي إلا محاولة عبثية وأن من الضروري الخضوع للصيرورة وهذا الخضوع يعني إلغاء الحدود والكليات والثوابت، وأي شكل من أشكال الصلابة، وهو يعني إنكار الأصل الإلهي على أن يبقى الإنسان في قبضة الصيرورة. (المسيري وآخرون، 2003، صفحة 25)

ويغدو هنا الحديث عن النسبوية اللانهائية فلا مجال للحديث عن الحقيقة فقد أفل نجمها وراح أقنومها دون رجعة، ويعد الألماني نتشه بلا منازع رائد الفلسفة المادية اللاعقلانية السائلة الجديدة وتتلخص رؤيته في عبارته الشهيرة لقد مات الإله يقول المسيري:

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

"أي أن العالم مادي لا قداسة ولا ضمان فيه لأي شيء، عالم خال من المعنى محايد لا قيمة ولا غاية ولا سبب ولا نتيجة لا كليات ولا مطلقات." (المسيري، 2002، صفحة 48)

فالوضع الذي آل إليه الانسان الحداثي جعل نتشه يثور ضد ما هو سائد، ويرفض كل القيم المعهود ويعتبر أن العقل قد أفلس من إنتاج المعنى والحقيقة، وبالتالي فهو عصر الانحطاط و العدمية، لأنه يحمل في ثناياها بوادر الضعف والوهن وعلى هذا الأساس فأحسن توصيف لزمن الحداثة عنده "إن زماننا صار زمانا عدميا سوقيا بحيث صار الغلبة لضرب منحط من الإنسان هو الإنسان العامي أو الحيوان المدجن (...)هو زمن قلق أبعد ما يكون عن روح السكينة والطمأنينة (...)ولطالما عبر نتشه عن زمن الحداثة بزمن الأنوثة والخنوثة" (الشيخ، 2008، صفحة 47)

فكل هذه الموصفات للحداثة دلالة على شناعة مآلاتها لهذا عمد نتشه على تفكيك المشروع التحديثي الغربي والإعلان عن أفوله، ويكون بذلك فيلسوف العلمانية الأكبر كما يسمه المسيري الذي عمد على محو العالم من أي ظلال للإله، أي من قيم، وثوابت وكليات وثنائيات وهذا يعني ردم كل التصورات والأقانيم والصنميات الكلاسكية والهيومانية التي نادت بها الإستنارة المضيئة، ورفع في المقابل شعار العدمية التي تعد تأشيرة الدخول لعالم العلمانية الشاملة (سيولة)، وبهذا يعد نتشه نقطة عبور من الحداثة إلى ما بعد الحداثة، ويظهر ذلك من خلال حملته النقدية التي شنها على "الأخلاق والدين والمجتمع والحداثة كلها توضح التناقضات والمفارقات الساخرة، التي كانت مدعاة للسخرية والضحك والتهكم والنقد اللاذع والناقم والساخط، فسخط نتشه وتذمره من كل ما يحيطه من انحطاط ونكوص كان محط سخرية وكشفه للمتناقضات الساخرة التي ابتعدت عن روح العقلانية...ولذلك أعلن عن كل قطيعة ابستمولوجية مع الماضي فلا تناصية في ساخرية نتشه وهو القائل: "عبقريتي في أنفي." (عبيس، 2016، صفحة 74)

إذن؛ هذا التقويض التام والتهديم المطلق للمطلق في ذاته إنما هو إنكار لأية نقطة صلبة أو أية مرجعية متجاوزة، ولا يتوقف الأمر عند الألماني نتشه فقط بل يتجاوز إلى رائد التفكيكية "جاك دريد" وهذا ما أشار إليه المسيري، الذي يرى بأن المشروع الفلسفي لجاك دريدا ما هو إلا محاولة منه لهدم ميتافيزيقا الحضور للفلسفة الغربية وتركيزها على الوعي واللغوس، وبالتالي رد الأنطولوجيا الغربية المبنية على فكرة الثنائيات، ليصل في نهاية تفكيكيته لهدم وتقويض العلامة الإلهية (المدلول المتجاوز)، وهكذا تصير الدوال في لعب و تراقص دائم، وبهذا لا بد أن يدفع كل شيء في نظر دريدا الى قبضة الصيرورة. (الشيخ، 2008، صفحة 121)

وهكذا تكون السيولة التامة التي تخترق كل صلابة وتلغي كل الحدود سيولة تتغلغل في كل مجالات الحياة الانسانية المعاصرة، وتتسرب إلى مختلف تفاصيل الحياة البشرية، ولهذا فأحسن توصيف للمجتمعات الراهنة مثلما يقول: باومان هي السيولة التي تشير إلى "الحالة المعاصرة لمجتمعنا الانساني مع كل التحولات التي أطالت أوجه الحياة فيه بطريقة غير مسبوقة :الحب والعمل والسياسة، السلطة...العلاقات الحميمية والعولمة" (باومان وآخرون، 2017، صفحة 13) فلا مفر من السيولة فهي حتمية تاريخية يفرضها علينا منطق المعاصر، فهي تعد نموذج لتفسير مختلف الظواهر المعاصرة.

وبهذا يكون المسيري قد قدم لنا رؤية معرفية، من خلال قراءته لمشروع المنظومة الحداثية الغربية وفق مرجعية باومانية تستند في أساسها على ثنائتي الصلابة والسيولة ولهذا يرى المسيرى أن "ثنائية الصلب في مقابل السائل تصلح نموذجا تحليليا، له قدرة تفسيرية عالية لكل النظم الفلسفية الحلولية الكمونية بشكل عام ولتطور تاريخ الفلسفة الغربية (بل وتاريخ الحضارة الغربية بشكل خاص)" (أجبر وآخرون، 2007، صفحة 208) وبهذا تكون الصلابة والسيولة متتاليتان متلازمتان تبدأ بالعقلانية الصلبة وتنتهي باللاعقلانية السائلة.

4.الرؤية التوحيدية كخلاص من موجة السيولة:

من خلال ما تقدم يتبين "للمسيرى" أن المادية الجديدة السائلة هي النموذج المسيطر على الحضارة الغربية في مرحلتها الأخيرة، وإذا كانت العلمانية الجزئية تمثل مرحلة الصلابة التي ترتكز على

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

قيم انسانية، فإن العلمانية الشاملة فهي تمثل مرحلة السيولة ذلك لغياب أية مرجعية من أي نوع.

فالخلاص من تسنامي السيولة لا يكون إلا من خلال عودة فكرة الكمال للذهن البشري فحاجتنا للإله أشبه بحاجتنا للأكسجين، وهذا ما أكده زيجمونت باومان الذي يرى "بأننا بحاجة إلى الإله حتى ولو كان الإله إنسانا يسعى إلى الكمال، لأن غياب المتجاوز يعني تسرب العبثية إلى كل شيء" (المسيري، 2002، صفحة 110) وهذا يعني ضرورة وجود العلامة المتجاوزة للتمسك بأهداب الحياة واضفاء المعنى على العالم، ومن هذا المنطلق يؤكد باومان في كتابه "عن الله والانسان Of God and Man" أن هنالك علاقة وثيقة بين الله والإنسان وهي أساس السلام والتضامن والتعاون بين البشر و نبذ كل أشكال التناطح والاقتتال، وهذا ما يؤدي إلى خلق عالم أخلاقي وتحويل العالم إلى مكان أفضل وجدير بالعيش الإنساني كما يقول :" وأما قضية العلاقة بين الله والانسان، فإنها لا تبدو أبدا متعلقة بالجدال الدائر حول التوحيد وتعدد الآلهة. ففي فكرة الخلق، كما في فعل الله الأساسي للمنظومة التوحيدية، يشغل الإنسان مكانة مركزية، فهو غاية سفر التكوين، وأداة "اكتماله " و"تحقيقه" أو الفاعل المهم في اكتماله وتحقيقه." (باومان وأبيرك، 2018، صفحة 21).

وهذا ما حاول المسيري اثباته ويظهر ذلك من خلال نموذجه التوليدي الذي ينطلق من ايمانه بفكرة الانسانية المشتركة، فهذه الأخيرة هي تلك الإمكانية الكامنة فينا هذا العنصر الرباني الذي فطره الله فينا. ومنه فهو يرفض النماذج الاختزالية المادية التي تختزل الإنسان في بعد مادي واحد فقط، فالإنسان أكبر من ذلك فهو ظاهرة مركبة وثغرة داخل النسق الكوني، وتميزه يجعله ظاهرة مركبة متعددة الأبعاد. وهذه التركيبة "مصدرها الإنسان نفسه في المنظومة الإنسانية الهومانية ومصدرها العيش الإلهي في الإنسان في المنظومة التوحيدية ...فالجانب الرباني لصيق تماما بإنسانيتنا" (بلعقروز، 2014، صفحة 58) فالإنسان ظاهرة مركبة فيه الإنساني وفيه القبس الرباني، وهذا ما تقر به المنظومة التوحيدية التي تؤمن بإله يتجاوز العالم ولكنه لا يلغي العالم بل يظل قائما بتنوعه، وبالتالي ووحدانية الاله هي ضمان تعدد العالم وتنوعه

يقول المسيري: "إذ يظل الإنسان جزءا من كل، جزءا له استقلاله وحرمته ومسؤوليته رغم انتمائه للكل (وهذا ما نسميه النزعة الربانية)." (المسيري، 2018، صفحة 58) وبالتالي فإن الرؤية التوحيدية كفيلة بأن تضع حدا لموجة السيولة التي اخترقت مناحي حياة الإنسان المعاصر.

5. خاتمة:

استناد لما سبق نصل للقول بأن عبد الوهاب المسيري في توظيفه لقولتي الصلابة والسيولة داخل خطاباته استطاع أن يعيد قراءة مشروع الحضارة الغربية بأعين باومانية، وتمكن من استحضار الموروث الباوماني ويظهر ذلك داخل متون نصوصه التحليلة. ليتجاوز الرؤية الغربية والباومانية إن صح القول باقتراحه لنموذجه التوليدي محاولا منه إيجاد مخرج من السيولة الشاملة المهددة لمصير البشرية، ليبقى سؤال المصير الإنساني هو هم الإنسان ذاته في جميع مراحله الانتقالية(سواء في مرحلة الصلابة أو السيولة)، مهما اختلفت مشاربه وتعددت أيدولوجياته، فالسيولة التي وصلت إليها المجتمعات المعاصرة، تنذر فأفول الإنسان فلا سبيل للهروب من موجة السيولة إلا إذا تفكر الإنسان ذاته واستعاد كينونته التي تعد مثوى الوجود بتعبير مارتن هيدجر، فالترياق الأوحد لا يكون الا بعودة المقدس داخل الخطاب المعاصر واستحضار القيم الدينية، لأن غيابها يعني غياب المسؤولية، وغياب الشعور بالذنب وفقدان الأخلاق لمشروعيتها، وكل ذلك يساهم في حفظ الكرامة الانسانية وانتشالها من يد اللصوص المحتالين. وبهذا تعود للإنسانية حرمتها وعزتها، فلا مجال للفرار من السيولة الجارفة، إلا بالرجوع إلى المنظومة التوحيدية؛ فهي تعد الملاذ الأخير في نظر المسيري كونها خطاب يشمل الإنساني بالدرجة الأولى ويعانق القيم الانسانية المشتركة في أفقها النهائي، وهذا على خلاف الرؤية الاختزالية والتي حوسلت الإنسان وقضت على كل أبعاده

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)

5. قائمة المراجع:

1. عبد الوهاب المسيري،(2018). الحلولية ووحدة الوجود، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنش.
2. عبد الوهاب المسيري وفتحي التركي، (2003). الحداثة وما بعد الحداثة، سوريا، دار الفكر.
3. عبد الوهاب المسيري، (1998). فكر حركة الاستنارة وتناقضاته، مصر، دار النهضة للطباعة والنشر.
4. عبد الوهاب المسيري، (2002). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، مصر، دار الشروق.
5. عبد الوهاب المسيري، (2002)،الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، سوريا، دار الفكر،.
6. عبد الوهاب المسيري،(2006). دراسات معرفية في الحداثة الغربية، مصر، مكتبة الشروق الدولية.
7. عبد الوهاب المسيري،(2001). العالم من منظور غربي، مصر، دار هلال.
8. عبد الوهاب المسيري،(2010). قضية المرأة بين التحرر...والتمركز حول الأنثى، مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر.
9. باومان زيجمونت، (2014). الحداثة والهولوكوست، تر: حجاج أبو جبر، دنيا رمضان، مصر، مدارات للأبحاث والنشر.
10. باومان زيجمونت، (2016). الحداثة السائلة، تر: حجاج أبو جبر، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
11. باومان زيجمونت، بوردوني كارلو، حالة الأزمة، (2018). تر: حجاج أبو جبر، لبنان ،الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
12. تايلور وآخرون، (2018). ما بعد الحداثة دراسات في التحولات الاجتماعية والثقافية في الغرب، تر: حارث محمد حسن، وباسم علي خريسان، لبنان ،دار الروافد الثقافية ناشرون.
13. حجاج أبو جبر وآخرون،(2007). عبد الوهاب المسيري في عيون أصدقائه ونقاده، سوريا ،دار الفكر.
14. حجاج أبو جبر، (2017). نقد العقل العلماني: دراسة مقاربة بين لفكر زيغمونت باومان وعبد الوهاب المسيري، قطر، المركز العربي للأبحاث والدراسة السياسات.
15. رائد عبيس،(2016). فلسفة السخرية عند بيترسلوترديك، الجزائر ،منشورات الاختلاف.
16. زيجمونت باومان وآخرون،(2017). قوة الكلمات، تر: لطيفة الدليمي، مصر، دار المدى.
17. زيجمونت باومان: الحرية، (د،ط). تر: فريال حسن خليفة، مصر، مكتبة مدبولي.
18. زيجمونت باومان: الحياة السائلة،(2016). تر: حجاج أبو جبر، لبنان، الشبكة العربية لأبحاث والنشر.
19. زيجمونت باومان، 2017. أبو الحداثة السائلة زيجمونت باومان، تر: مجموعة من المترجمين، مصر، كتاب جيل جديد.
20. زيجمونت وستانسواف أوبيرك،(2018). عن الله والإنسان، تر: حجاج أبو جبر، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
21. عبد الرزاق الدواي، موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر، لبنان، دار الطليعة للنشر.
22. عبد الرزاق بلعقروز،(2014). قوة القداسة وتصدع الدينيوية استعادة الدين لدوره، لبنان، منتدى المعارف.
23. عمرو شريف، (2014). ثمار رحلة المسيري الفكرية قراءة في فكره وسيرته، مصر، فرست بوك للنشر.
24. كمال بومنير،(2010). جدل العقلانية في النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الجزائر، منشورات الاختلاف.
25. لوك فيري بالتعاون مع كلود كبلياي، (2015). أجمل قصة في تاريخ الفلسفة، تر: محمود بن جماعة، لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر.
26. محمد الشكير، (2006). هايدغر وسؤال الحداثة، المغرب، أفريقيا الشرق.
27. محمد الشيخ،(2008). فلسفة الحداثة في فكر المثقفين الهيغليين ألكسندر كوجيف وأريك فايل، لبنان، الشبكة العربية.
28. محمد الشيخ،(2008). نقد الحداثة في فكر نتشه، لبنان، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
29. محمد سبيلا: الحداثة وما بعد الحداثة، (2007)، المغرب، دار توبقال للنشر.
30. ممدوح الشيخ،(2008). عبد الوهاب المسيري من المادية إلى الإنسانية الإسلامية، لبنان، مركز الحضارة للتنمية الفكر الإسلامي.

Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Pas de Modification 4.0 International (CC BY-NC-ND 4.0)